تقريظ

كلمة أخرىٰ تفضل بها سماحة
العلامة الشيـخ سليمان المدني
دامت إفاضاته .

بِسمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرَّحيمِ

الدُّعَاءُ في الإِسلامَ

قال الله «سبحانه» في كتابه العزيز :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَستَجِيبُوا لِي وَلْيُؤمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرشُدُونَ﴾[1] . وقال «عزّ وجلّ» : ﴿أدعُونِي أَستَجِب لَكُمْ﴾[2] ، ووصف ذاته المقدسة متمدحاً فقال : ﴿أَمَّن يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكشفُ السُّوءَ﴾[3] .

واوجب « سبحانه » علىٰ عباده الصلاة فرائض معلومة في أوقات محدودة ، وليس معنىٰ الصلاة في اللغة إلاَّ الدعاء والعطف .

وعن المعصومين ـ « صلوات الله وسلامه عليهم » إن الدعاء لب العبادة . فالدعاء إذاً هو الصلة الرابطة بين المخلوق والخالق ، وهو الوسيلة الناجعة لطلب الخيرات ، واستدفاع الشرور والآفات منه ـ تقدست أسماؤه ، وجلّ ثناؤه ـ . ولا يغرنك ما يلقلق به بعض من نزع الله حلاوة الإيمان من قلبه بعدم فائدة الدعاء ؛ لأن الله « سبحانه » يعلم ما يحتاجه عبده ، وما يرغبه .

---

(١) سورة البقرة / الآية : ١٨٦ .
(٢) سورة غافر / الآية : ٦٠ .
(٣) سورة النمل / الآية : ٦٢ .

فإذا كان يريد أن يعطيه اعطاه ، وإن كانت إرادته إتجهت إلىٰ منعه منه منعه ، فلا فائدة من الدعاء . فإن هذا الكلام إنما يكشف عن جهل قائله بحقيقة التوحيد واحكام الدين .

فالدعاء وسيلة من الوسائل التي جعلت لتحقيق المطالب لا لجهل الله ـ سبحانه ـ بما يريد عبده أو يرغب فيه ، ولا لأنه لا يعطيه من دون الدعاء ، وانما لربط عبده به وصلته له شرع له الدعاء كما جعل الشيء ثم طلب العمل والجهد في ذلك وسيلة لتحصيل الرزق فقال سبحانه : ﴿ فَأمشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزقِه ﴾[1] مع أنه « سبحانه » لا يعجز من إيصال الرزق إلىٰ المخلوق من غير كسب وعمل ، بل أن التوجه إلىٰ الكسب والعمل في حقيقته ليس إلاَّ دعاء بطلب الرزق من الله ، وكم من كادح لم ينلْ من كدحه إلاَّ التعب والعرق إذا لم يكتب الله له رزقاً من ذلك العمل .

فالدعاء لا ينحصر في الدعاء اللفظي ، بل هو ثلاثة أقسام : دعاء بالجنان ، ودعاء باللسان ، دعاء بالاركان .

والدعاء بالجنان أن يتشوق الإنسان إلىٰ نيل مأربه من الله « سبحانه وتعالىٰ » ويتمنىٰ ذلك عليه ، معتقداً بانه سوف يوصله ذلك .

والدعاء بالاركان هو الحركة والسعي لتحقيق ذلك المأرب وتسبيب الاسباب والمقدمات الطبيعية التي تحقق ذلك الشيء في العادة المعروفة من نظام الكون .

والدعاء باللسان أن يقول : اللَّهم أعطني كذا ، وامثال ذلك .

والحقيقة أن الدعاء لكي يستجاب لا بد أن يتكون من هذه الأقسام الثلاثة بأن يتوجه نفسياً إلىٰ الله « سبحانه » بتحقيق رغبته وأن يتحرك بأركانه

---

(١) سورة الملك / الآية : ١٥

وليسعىٰ إلىٰ تحصيله من الطرق التي رتب الله بها نظام الكون في ربط المسببات بالأسباب وأن يتعبد الله « سبحانه » بالسؤال اللفظي في توفيقه وتمكينه من تحقيق مأربه .

والدعاء فوق هذا وذاك عبادة من العبادات التي شرّعها الله لعباده يتحقق بموجبها الثواب الأخروي ، ولقد ذكر « سبحانه » قوماً يأبون سؤاله ودعاءه فوصفهم بالتكبر علىٰ عبادته فقال فيما أنزل من كتابه : ﴿ **أَلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي** ﴾[1] فبحسب الروايات الواردة في تفسير الآية الذين لا يدعونه .

وهذه العبادة منها ما هو محدد مؤقت ومنها ما ليس بمحدد ولا مؤقت :

١ ـ أما ما ليس بمحدد ولا مؤقت فهو ما يخطر علىٰ ذهن الإنسان من الالفاظ التي يقولها عند التوسل إلىٰ الله في أمرٍ من الأمور إذ لا شك أنه يجوز للإنسان أن يدعو بما يلهمه الله من الألفاظ في وقت طلبه الشيء من الله « سبحانه وتعالىٰ » أي لفظ كان وبأي لغة من لغات البشر .

لكن لا يجوز له أن يضع دعاءً معيناً بصيغة خاصة ويدعي أن هذا الدعاء للأمر الكذائي والحاجة الفلانية أو للوقت الفلاني والمكان الكذائي . فإنه يكون في الحقيقة إفتراء علىٰ الله « سبحانه » ومن هذا القبيل الأدعية التي يضعها بعض الصوفية ويضعون لها شرائط خاصة وأوقات معينة وربما أشترطوا تكرارها عدداً محدوداً . فالعبادة المؤقتة المحدودة بتوفيقه لا يجوز وضعها إلاَّ من قبله « سبحانه وتعالىٰ » . ولا تعلم إلاَّ بالرواية عن نبيه وأهل بيته « عليهم الصلاة والسلام » . ولذلك لا ينبغي الإعتقاد بالأدعية المؤقتة التي ليس لها سند يوصلها إلىٰ المعصوم .

٢ ـ الدعاء المؤقت والمحدد بأوقات معلومة أو لأماكن خاصة أو

---

(١) سورة غافر / الآية : ٦٠ .

لأغراض معينة . ومن هذه الأدعية الواردة عن النبي « صلىٰ الله عليه وآله وسلم » والأئمة « صلوات الله وسلامه عليهم » ولا ينبغي التساهل في شأن طرق ثبوتها ما دامت مؤقتة ومحددة . فإن الإعتقاد باستحباب عبادة ما في وقت معين أو مكان معين أو لأمر معين في نسب الأمر بذلك إلى الباري جلّ اسمه . وهو أمر عظيم خطير فليس كل دعاء وردت به رواية ما يصح الإعتقاد به ، والإتيان به باعتقاد أنه موظف في ذلك الوقت أو الزمان .

ولقد أغنىٰ الله شيعة آل محمد « عليه وآله الصلاة والسلام » عن الوضع في هذا الشأن أو العمل بالروايات غير الثابتة بالأدعية التي رواها الثقاة عن النبي « صلّىٰ الله عليه وآله وسلم » والأئمة من عترته من لدن أمير المؤمنين « عليه السلام » إلىٰ ما ورد في التوقيعات عن مولانا المهدي المنتظر عجل الله «تعالى» فرجه وجعل أرواحنا فداه .

والأدعية الواردة عن النبي « صلّىٰ الله عليه وآله وسلم » وأهل بيته تمتاز عمّا وضعه الواضعون بجزالة ألفاظها وبلاغة أساليبها ، وعمق مضامينها . وجلالة مطالبها . ولا غرو في ذلك فهم أفصح العرب علىٰ الأطلاق السناً ، وابعد العلماء غوراً ، واعرف الخلق بما يليق بمقام الباري من الخطاب ، وما ينبغي أن يقال في حضرته من المقال : إضافةٍ إلىٰ أنهم « صلوات الله عليهم » قد راعوا ما يحتاج الناس معرفته من حقائق التوحيد ، ومكارم الأخلاق فجعلوا الدعاء وسيلة إلىٰ إيصاله إلىٰ آذان الناس ونفوسهم . فجاءت أدعيتهم « عليهم السلام » شرحاً للعقائد وبياناً للمقاصد الدينية والخلقية .

ولعل دعاء أبي الأحرار سيد شباب أهل الجنة وريحانة الرسول الأعظم الحسين بن علي « عليه السلام » الذي قاله في موقف عرفات من ابرز الشواهد علىٰ ذلك ، فليس في فقراته من فقرة ، ولا في جمله جملة ، بل ولا في كلماته كلمة إلاَّ وهي تتضمن معنىً رائقاً ، ومطلباً من مطالب الدين جليلاً .

فلا غرو إذا أن يجتذب هذا الدعاء فضيلة الشيخ عباس الريس ، وهو الأديب الفارع ، والشاعر البارع ، ويشده إليه فيقوم بشرح الفاظه ، وبيان معانيه وتفصيل مطالبه ، ولقد أجاد في فعله كما أجاد باختياره ، حيث أخرج هذا الشرح الرائق ، فشكر الله سعيه وبلغه أمانيه وأجزل له عطاءه ، وأشركنا وإياه في ثوابه .

١٤٠٩/١/١٦ هـ سليمان المدني

جد حفص ـ البحرين